عِشْ رَجَبًا تَرَ عَجَبًا

الحلقة المفقودة

سَيُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالاخبارِ مَنْ لم تزوّدِ

قام في هذا الزمان اناسٌ يقولون ان كلّ نوعٍ من النبات والحيوان لم يخلق مستقلاً لذاته بل تحوّل عن نوعٍ آخر وان الانسان لم يُخلق من التراب رأساً بل تحوّل عن حيوانٍ انقرض منذ زمانٍ قديم وتحوّلت عنهُ ايضاً اعلى انواع القرود كالغورلاّ والشمبنزي والأورانوتان فالانسان والقرود المذكورة فروعٌ تفرّعت على اصلٍ واحدٍ . ويُعرَف قولهم هذا برأي التحوّل. واصحابهُ عاكفون على البحث والتنقيب وتجشم الاسفار وفحص البراري والقفار والاغوار والبحار لتأييدِ ما يعثرون عليهِ من الادلّة والشواهد التي تؤيد حجتهم وتدحض اعتراض مخالفيهم

والظاهر ان حجتهم قد كشف لهم من خبايا الطبيعة ما يقوّي حجتهم ويستجلب اليهم عدداً عديداً من المخالفين لهم . وبيان ذلك ان اوّل اعتراضٍ يُعترَض على مذهب التحوّل هو عدم وجود حلقات متوسّطة بين نوع وآخر وهذا هو اقوى اعتراض عند غير العلماء وغير المضلعين من العلوم الطبيعية . واشد الناس تمسكاً بهِ هم العامّة والذين لم يتبحروا في مذهب التحوّل . ولذلك لا يَبسُط هذا الرأي امام واحدٍ منهم الاّ اعترض قائلاً "لو صحّ ان الانسان تحوّل عن حيوانٍ اوطأ منهُ وبلغ ما هو عليهِ بالارتقاء تدريجاً لوجب ان تكون هناك سلسلة تتصل اول حلقة منها بذلك الحيوان الوطاء وآخر حلقةٍ منها بالانسان ولوجب ان نجد بشراً ادنى منّا وآخرين ادنى منهم وهكذا حتى نصل الى الحيوان الاصلي الذي تسلسل منهُ البشر. والحال اننا كنا جلسا في الارض لم نجد الاّ بشراً كاملين — وان كانوا متفاوتين — عقلاً وتركيباً. بل قد بلغني ان العلماء نقبوا الى باطن الارض وطافوا في وجهها اعلاّ يجدوا آثاراً لهذه الحلقات فلم يجدوا. وكفى بذلك دليلاً على نفي مذهب التحول وفساد زعم الذاهبين اليهِ". فمهما يكن في هذا القول من الضعف والمجازفة فهو يستولي على العقل استيلاء عجيباً حتى يكاد لا يبطله الاّ الدليل الحسّي والمشاهدة العيانيّة . فاذا صحّ ما عثرنا عليهِ في الصحف العلمية الاخيرة فقد وُجِدَت الحلقة المفقودة وبطل الاعتراض المذكور آنفاً

وتحرير الخبر ان اثنين من علماء بلجكا وجدا في الصيف الماضي عظام هيكلين من هياكل البشر مدفونة في كهفٍ من كهوف ولاية سياي على ضفّة نهر اورنو ووجدا معها عظام وجيد

الفرس والفيل الاصلي والدب والهرّ والحصان والذئب والغنم وغيرها من الحيوانات التي انقرضت انواع منها ولم تزل انواعٌ أخرى عائشة الى زماننا هذا. فعرضا هذه العظام على الموسيو جول فريبون وهو عالم مجرّب في هذه المباحث واستاذٌ للعلم الذي يبحث فيه عن الاحافير القديمة وهو المعروف بعلم البالينولوجيا في مدرسة لياج الجامعة. فخصّها فحصًا طويلاً وقاسها قياسًا دقيقًا وحكم انها عظام بشر كانوا عائشين في العصر المعروف بالعصر الحجري القديم وهو الزمان الذي كان الناس يصنعون فيه ادواتهم من الحجارة لجهلهم استعمال المعادن والاختطاط الصناعة في زمانهم. واستدلّ من وجود عظام الحيوانات المذكورة آنفًا مع عظامهم على انهم كانوا عائشين قبل ان جاء على الارض العصر المعروف بالعصر الجليدي. ودليله على ذلك عدم وجود عظام الرنّة بينها وعظام الرنّة تكاد لا توجد في تلك الجهات الاّ من العصر الجليدي فما بعده. وسواء صحّ هذا الدليل او لم يصحّ فوجود عظام ذينك الانسانين مع عظام حيوانات انقرضت منذ ازمان طويلة جدًا يدلّ على انهما عاشا على الارض منذ زمان طويل جدًا

ولكن ذلك لا يفيد مذهب التحوّل فائدةً تُذكَر والسرّ ليس في قدم الزمان بل في تركيب تلك العظام فقد ثبت للاستاذ المذكور بعد الفحص والقياس ان صاحبي ذينك الهيكلين كانا ادنى تركيبًا من كل البشر العائشين في هذا الزمان حتى اوطأ المتوحشين الساكنين جزائر الهيط وغيرها وانهما كانا اقرب الى القِرَدة من اقرب اهل هذه الايام اليهما. ذلك مع انهما كانا يعيشان في اواسط اوربا حيث يعيش الآن اناس يُعَدّون من اسمى اهل الارض تركيبًا واكملهم بنيةً وابعدهم عن القردة خلقةً. وكنا نودّ ان نبيّن ما وجد من عظامهما ونفصّل اقيسته ولكننا اكتفينا باستخلاص زبدته حبًّا بالاختصار وفرارًا من ان يستغلق الكلام على القارىء. فاحدى الجمجمتين طويلة جدًا منخفضة كثيرًا من اعلاها ضيقة من جانبيها طولها من الامام الى الخلف ٢٠٠ ملمتر ومن الجانب الى الجانب ١٤٠ ملمترًا. والثانية تشبهها وطولها من الامام الى الخلف ١٩٨ ملمترًا ولكنها من الجانب الى الجانب ١٥٠ ملمترًا. والحجاج (وهو العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب) بارزٌ جدًا فيهما. وعظم الفخذ قصير محدّب من الامام مقعّر من الوراء يتركب مع عظم الساق بحيث تكون الفخذ محدبة من الامام والركبة بارزة والساق مخرقة الى الوراء كما يشاهد في القرود العليا المعروفة بالقرود الشبيهة بالبشر في هذا الزمان. فهذه مع سائر بنايا الهيكلين اذا ركّبها العارف بامرها معًا وتصوّرها مكتسية لحمًا تبيّن ان صاحبيها كانا قصيري القامة غليظَي الجثة قويّي التركيب عريضَي الاكتاف ضيقي الراس طويليه مستحنّي الفخذ بارزي الحواجب منخفضي الجبهتين بارزي الوجنات منتفخي الذقنين يمشيان على ارجل محدّبة تجعل القامة فيها اقلّ

انتصابًا مما هي في اهل هذا الزمان حتى يصحّ ان يعتبرا صنفًا من البشر لا وجود له في هذه الايام بل قد باد وانقرض كما انقرضت انواعٌ لا تحصى من النبات والحيوان . وقد تقدّم انهما كانا يسكنان اواسط اوربّا حيث يعيش اليوم اناسٌ يختلفون عنهم كل الاختلاف في ما تقدّم من الاوصاف فما الذي يقال في سبب هذا الاختلاف

هذه مسألة لا تحتمل الّا ثلثة اجوبة احدها انكار الاختلاف المذكور وتكذيب الخبر الذي ذكرناهُ وهذا لا يعبأ به اهل البحث والنظر الّا اذا أُثبت بالدليل . والثاني تسليم الاختلاف ولكن حمله على الشذوذ اذ الخالي الذهن من هذه المسألة لا يستبعد ان يكون اختلاف الجمجمتين المذكورتين شذوذًا عن القياس او يعتبر انهُ مسبّبٌ عن مرض كما تختلف جماجم البشر اختلافًا عظيمًا في زماننا للسببين المذكورين . غير ان اصحاب مذهب التحول يعدّون الهيكلين المذكورين دليلاً على انتفاء احتمال الشذوذ وثبوت ان الناس كانوا في قديم الزمان ادنى مما هم عليهِ اليوم . وذلك لانهم كانوا قد وجدوا عدّة جماجم قديمة في اماكن متفرقة من اوربّا مثل كنستت ونيندرتال وأمو وغيرها . وهذه الجماجم تشبه الجمجمتين المشار اليهما آنفًا في تركيبها وتوافقها في الزمان الذي عاش ذووها فيهِ ولذلك كانوا يتخذونها دليلاً على ارتقاء الناس عمّا كانوا عليهِ ولكن جماعة من اشهر العلماء مثل فرخوف وبرونر بك وغيرهما من المخالفين كانوا يعللون اختلاف هذه الجماجم على الشذوذ او الاسباب الباثولوجيّة ونحوها . اما الآن وقد وجد الهيكلان المذكوران فزاد عدد تلك الجماجم وزاد عليها وجود عظام أُخرى مختلفة عن عظام الناس في زماننا . فالظاهر ان حملها على الشذوذ اصبح ضعيفًا جدًّا واصحاب التحول يقطعون بفسادهِ

والثالث التسليم بان الاختلاف المذكور ما كان الّا لانّ الناس ارتقوا عن نوع ادنى منهم من الحيوان وان الجماجم المذكورة آنفًا هي جماجم اناسٍ هم الحلقة المتوسطة بين البشر في زماننا وبين ذلك النوع

واما كون هذه الجماجم جماجم بشر لا غيرهم فلان اصحابها وان كانوا أدنى من جميع البشر المعروفين لكنهم اسمى من القردة باكثر من ذلك كثيرًا . وهم يشبهون القرد المعروف بالأورانغ في بعض الامور والشمبنزي في أُخرى والغورلاّ في أُخرى ممّا يدل على انهم اكتسبوا تلك المشابهات من اصل واحدٍ هم واياها . فلا يكون اصل الانسان قردًا كما هو شائع بين العامّة بل يكون اصله واصل القرد واحدًا فاصلهما القريب حيوان اوطأ منهما واصلهما البعيد التراب وهو اوطأ من كل حيوان . هذا ولا يصحّ القطع في هذه المسئلة الآن فلا بدّ من الانتظار الى ان تقوى ادلة اهل مذهب التحول او ادلة اضدادهم وتبلغ مبلغ اليقين